الإعراضُ عن الالتزامِ الديني دراسةٌ قرآنيةٌ في المفهومِ والأسبابِ وسبلُ الوقايةِ والعلاج

د. أحمد رزاق فاضل الأسدي
جامعة المصطفى العالمية

Turning away from religious commitment: a Quranic study on the concept causes and ways of prevention and treatment

Dr. Ahmed Razzaq Fadel Al-Asadi
Al-Mustafa International University
Email: ahmedalasadi3168@gmail.com

ملخص البحث

القرآن الكريم يُبيّن لنا أنَّ هناك شريحة من المجتمع ، قد أعرضوا عن ذكر الله سبحانه وتعالى وتركوا أحكامه، بعد أنْ قامت الحج، والبراهين على أنَّ سبيل النجاة هو عبر الالتزام بأحكام الله تعالى وتعاليم دينه الحنيف، وقد عرض لنا القرآن الكريم صورًا عديدة عن هؤلاء المعرضين، فتارة يكون إعراضهم عن الدين، وتارة عن بعض أجزاء الشريعة بما لا توافق هوى أنفسهم ومصالحهم، فلا يقبلونها ويردّونها إمّا مباشرًا ، أو بتأويلها وتحريف معانيها ؛ كذلك عرض لنا القرآن الكريم جملة من الأسباب التي دعت بصاحبها إلى الإعراض وعدم الالتزام بالدين، وأظهر إلى أنَّ توافر النعم على بعضهم تجعله ثقيلًا ومتكاسلًا ومتهاونًا في أداء حقّ من حقوق المنعم الذي أنعم عليه بها؛ وهنا تبرز أهمية هذا البحث في الكشف عن بعض جوانب الإعراض عن الالتزام الديني، باعتبار أنَّ الالتزام الديني هو من أهم المعايير التي نستند إليها في الحكم على السلوك الإنساني، ويبرز الهدف هنا في بيان موقف القرآن الكريم اتجاه من أعرض عن أحكام الدين وتعاليمه، فبعد عرضه للأسباب التي دعت هؤلاء إلى الإعراض والانحراف، وأنكر سلوكهم المنحرف، قدّم لنا الحلول المناسبة للوقاية والعلاجهذا المرض الفتاك الذي يفتك بالمجتمع، وهذا هو ديدن القرآن الكريم عندما يعرض مشكلة سواء كانت اجتماعية ، أم عقائدية أم ثقافية، يقدّم الحلول المناسبة وسبل التعامل معها والتخلص منها؛ فحين نستنطق القرآن الكريم فإننا نجده يشدد على الالتزام بأحكام الدين الإسلامي ، وينكر أشد النكران على من يعترض، أو يتهاون بالتعاليم الإلهية، وعليه فلابد لنا من التعرف على كيفية تعامل القرآن الكريم مع هذا السلوك.

الكلمات المفتاحية: الإعراض، الالتزام الديني، الوقاية، العلاج.

Abstract

The Holy Qur'an shows us that there is a segment of society that has turned away from the remembrance of God Almighty and abandoned His rulings after evidence and proofs were established that the way to salvation is through adherence to the provisions of God Almighty and the teachings of His true religion. Their turning away from religion and sometimes from some parts of the law is in a way that does not agree with their own desires and interests so they do not accept it and reject it either directly or by interpreting it and distorting its meanings. The Holy Qur'an also presented to us a number of reasons that called for its owner to turn away and not adhere to religion and instructed that the availability of blessings on a person makes him heavy lazy and negligent in performing one of the rights of the bestowed with which he was bestowed. Here the importance of this research emerges in revealing some aspects of turning away from religious commitment given that religious commitment is one of the most important criteria that we base on in judging human behavior. The goal here is to clarify the position of the Holy Qur'an towards those who turned away from the rulings of religion and its

teachings. After presenting the reasons that led these people to turn away and deviate and denying their deviant behavior it provided us with appropriate solutions for prevention and treatment of this deadly disease that ravaged society and this is what the Holy Qur'an did when it was presented. A problem whether social ideological or cultural provides appropriate solutions and ways to deal with it and get rid of it; When we question the Holy Qur'an we find it emphasizing adherence to the provisions of the Islamic religion and denouncing those who object or underestimate the divine teachings. Therefore we must learn how the Holy Qur'an deals with this behaviour.

Keywords: symptoms religious commitment prevention treatment.

المقدمة

الحمد لله كما يستحقه حمدًا كثيرًا ، والصلاة والسلام على خير الأنام وبدر التمام المحمود الأحمد المصطفى الأمجد أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

هدى الله سبحانه وتعالى الناس إلى دينه، إذ أرسل إليهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم كتبه وفرض عليهم شرائعه وأحكامه، وامتدح من أطاعه ووعدهم النعيم الدائم، وذم من عصاه ووعدهم العذاب المقيم ، كما جعل للهداية أسبابًا وآثارًا، كذلك جعل للضلالة أسبابًا وآثارًا، فمن أعظم أسباب الضلال الذي يؤدي بالإنسان إلى العذاب الأخروي هو الإعراض عن دين الله سبحانه وتعالى وعما بلغته رسله وأنبيائه ﷺ من أوامرٍ ونواهٍ إلهية، سواء كان إعراضًا كليًا ، أم كان إعراضًا جزئيًا عن بعض أحكام الشريعة، وأكثر هؤلاء المعرضين الذين أعرضوا عن الله سبحانه وتعالى وعن أحكامه هو بعد قيام البراهين والحجة عليهم وارتفاع الجهل عنهم، فنرى القرآن الكريم يعرض لنا صورًا من هذه النماذج واضحة الدلالة، فهم يكذبون بآيات الله تبارك وتعالى ويعرضون عن دينه، فقد يكون إعراض في بعض الأحيان عن أجزاء من الشريعة لا توافق هوى جماعة منهم أو أفراد، فيعرضون عن حكم من أحكام الله جل وعلا ولا يقبلونه، ويردون ما فيه من الأدلة إما ردًا مباشرًا ، وإمّا بتأويلها وتحريف معانيها، وهذا هو الذي أدى للخذلان والانتكاس الذي منيت به الأمة الإسلامية في وقتنا هذا، وقد يؤدي أحيانًا بصاحبه إلى الانسلاخ من أحكام الشريعة فلا يقبل منها إلّا ما وافق هواه، ويعرض عما لا يوافق هواه، وهذا أحد الأسباب التي تسلك بصاحبها إلى النفاق، وكذلك توافر النعم على الإنسان فيستكبر فتكون سببا للإعراض عن الالتزام بأحكام الشريعة ؛ لأنّ الأوامر والنواهي مع توافر النعم تكون ثقيلة على الناس، فهي تحد كثيرًا من شهواتهم ، وتضبط تمتعهم بما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم، ولهذا برزت أهمية موضوع هذا البحث في جانب من جوانب الإعراض وهو الإعراض عن الالتزام الديني؛ لأنّ عدم الالتزام بالشريعة الإسلامية هو

المفتاح والبداية لكل أنواع الإعراض، ويعدّ الالتزام الديني من أهم المعايير التي نستند إليها في الحكم على السلوك الإنساني والحكم عليه بالصحيح وغير الصحيح، فالصحة خاصية للسلوك الذي ينسجم ويتوافق مع القواعد والمعايير الدينية والأخلاقية، وما دون ذلك يكون في تعداد السلوك غير الصحيح، فالالتزام الديني يحرر الإنسان من حالة الصراع والقلق التي يعيشها، ويبعث في نفسه الطمأنينة والاستمتاع بالحياة، ويساعده على التوافق الذاتي والتكيف الاجتماعي، لذا بحث هذا الموضوع من عدة جوانب من حيث مفهومه ، وأسبابه وسبل الوقاية والعلاحسب المنظور القرآني، لنرى كيف تعامل القرآن الكريم مع هؤلاء المعرضين عن الشريعة المقدسة.

إنّ الهدف من هذا البحث هو بيان منهج القرآن الكريم إزاء هؤلاء المعرضين عن دين الله جل وعلا ، وعدم الالتزام بشرعه القويم ، حيث نرى القرآن الكريم يُدين بشدة هذا السلوك المنحرف الذي ينخر بالمجتمع الإنساني ؛ لذا نجد القرآن الكريم يقدم لنا الحل لهذا السلوك، واستخلاص سبل الوقاية والعلاإزاء هؤلاء المعرضين عن الالتزام بالشريعة المقدسة، فهذا هو ديدن القرآن الكريم عندما يعرض مشكلة اجتماعية سواء كانت عقائدية أم ثقافية، وغيرها، فحين نستنطق القرآن الكريم فإننا نجده يشدد على الالتزام بأحكام الدين الإسلامي ، وينكر أشد التنكير على من يعترض ، أو يتهاون بالتعاليم الإلهية، وعليه فلابد لنا من التعرف على كيفية تعامل القرآن الكريم مع السلوك ومعالجته .

الإعراض لغةً واصطلاحاً.

أولًا: الإعراض لغةً: جاء ذكر الإعراض في المعاجم اللغوية، وقد أورد علماء اللغة عدة معان له، منها:

– أعرض الشيء: ظهر وبرز وأعرض يُعرض إعراضًا : ظهر الشيء من بعيد أمام الناظر: ومنه أعرض الظبي للصّياد : ظهر أمامه وأعرض للرجل مطلوبه: صار المطلوب في متناول يده.

وأعرض الرجل عن صاحبه: صد عنه وولاه ظهره، وتعرض له تصدى له.

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: أعرض: (أظهر عرضه أي ناحيته فإذا قيل: أعرض لي كذا أي : بدأ عرضه فأمكن تناوله. وإذا قيل: أعرض عني فمعناه ولى مبديًا عرضه قال تعالى:﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ (سورة السجدة ، الآية : ٢٢)، وقال تعالى :﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾ (سورة النساء ، الآية : ٦٣) ، وقال تعالى: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ١٩٩)، وقال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ (سورة طه ١٢٤) ، وقال تعالى: ﴿ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية : ٣٢)).[١]

وقال ابن فارس: (ومن الباب أعرضتُ عن فلان وأعرضتَ عن هذا الأمر وأعرض بوجهه لأن إذا كان كذا ولاه عرضه)[٢]

وقال الفيومي: (أعرضت عنه، أي : أضربت ووليت عنه، أي: أخذت عرضًا، أي: جانبًا غير الجانب الذي هو فيه).[٣]

وقال الخليل : (وأعرضت بوجهي عنه، أي صددتُ وحددتُ)[٤]

فالإعراض: الإضراب عن الشيء، أي أخذت عرضًا ، أي جانبًا غير الجانب الذي هو فيه. وأعرض الشيء بدا عرضه ومنه أعترضت العود على الإناء، واعترض الشيء أظهر عرضه أي ناحيته.[٥]

وقال أبو البقاء الكفوي : (الإعراض: أن تولي الشيء عرضك: أي جانبك ولا تقبل عليه، والتولي: الإعراض مطلقًا، ولا يلزمه الإدبار... والإعراض: الانصراف عن الشيء بالقلب، قال بعضهم: المعرض والمتولي يشتركان في السلوك إلّا أنّ المعرض أسوأ حالًا... وغاية الذم الجمع بينهما).[٦]

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٣٣ .
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤ / ٢٧١- ٢٧٢.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ٤٧٨ .
(٤) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، باب العين، ١٣٢ .
(٥) انظر، التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ٥٦ .
(٦) الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي،٢٨ .

ثانيًا :- الإعراض اصطلاحاً:ـ ذكرت عدة تعريفات للإعراض ، أوهي بالأحرى معانٍ أخرى للإعراض. فقد جاء الإعراض بأنه:ـ (الصد والتولي عن ذكر الله ومعنى أعرض: أي أعرض وانصرف وتولى عن القرآن ، والدلائل التي أنزلها الله لعباده ولم ينظر فيها).[١]

أو أنّ الإعراض:- (يعبر عن حالة سلبية واقعية قد تلتقي بالوعي للموقف أو بالغفلة عنه ؛ وذلك لأنّه يمثل الإهمال الفعلي لحركة المسؤولية في حياته عبر موقف الحساب).[٢]

وأيضًا قيل :ـ (حقيقة الإعراض عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه، أي صار ذا عرض، أي جانب، أي أظهر جانبه لغيره، ولم يظهر له وجهه، ثم استعمل استعمالًا شائعًا في الترك و الإمساك عن المخالطة والمحادثة ؛ لأنّه يتضمن الإعراض غالبًا، يقال: أعرض عنه كما يقال: صدّ عنه) [٣]

إذن من المعنى اللغوي والاصطلاحي ممكن أنْ نعرّف الإعراض بأنّه : - الصد عن الشيء أو تجاهله أو التولي عنه، وإدارة الظهر وعدم الالتفات والاهتمام به.

فمن انشغل عن ذكر الله سبحانه وتعالى وابتعد عن التعلق بالله جلّ وعلا، أو وقف في سبيل انتشار الدين وحاربه وخاصمه فهو معرض عن الذكر وتولى عنه، ومن صدّ عن القرآن وأعرض عنه تلاوة وتدبرًا وعملًا فهو مُعرِض عن كتاب الله تبارك وتعالى، ومن أعرض عن أحكام الدين وشرعه وعدم السير وفق ما تريده الشريعة المقدسة فهو مُعرِض عن التمسك والالتزام بالدين.

- الفرق الدلالي بين الإعراض والألفاظ المرادفة له.

قد وردت بعض الألفاظ التي تدل على معنى الإعراض في القرآن الكريم، وهذه الألفاظ هي:

١- التولي: ومن معاني التولي الإدبار والإعراض إذا عدي بـ (عن) لفظًا ، أو تقديرًا

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد أمين الشنقيطي، ٤/ ١٥٥.
(٢) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله، ١٥/ ١٨٨ .
(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ٤/ ١٧٤- ١٧٥ .

اقتضى معنى الإعراض، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ (سورة الصافات، الآية: ١٧٤).[١]

٢- الصدّ:- هو (الإعراض والصدوف، صدّ عنه يصدّ ويصدّ صدّا وصدودا: أعرض، وصدّه عن الأمر يصدّه صدّا منعه وصرفه عنه، قال تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللهِ ﴾ (سورة النمل، الآية: ٤٣)، أي: صدّها كونها من قوم كافرين عن الإيمان).[٢]

وجاء في تعريف الصدّ اصطلاحًا بأنّه: (الامتناع والانصراف عن الصراط القويم بنية الإعراض عنه وعدم قبول الحق).[٣]

٣- الترك:- الترك هو إمّا مفارقة ما يكون الإنسان فيه، أو تركه الشيء رغبة عنه من غير دخول فيه، ومتى علق بمفعول واحد يكون بمعنى الطرح، أو التخلية والدعة، وإذا علق بمفعولين كان متضمنًا معنى التصيير فيجري مجرى أفعال القلوب ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾(سورة الصافات، الآية: ١٠٨)، أي أبقينا وترك الشيء رفضه قصدًا واختيارًا أو قهرًا واضطرارًا فمن الأول ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ (سورة الدخان، الآية: ٢٤)، ومن الثاني ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾(سورة الدخان، الآية: ٢٥)، والترك عدم فعل المقدور سواء كان قصد من التارك، أو لا كما في حالة النوم والغفلة وسواء تعرض لضده أم لم يتعرض، أو يكون بمعنى الهجر يقال هجرت الشيء هجرًا إذا تركته وأغفلته.[٤]

والترك رفض الشيء قصدًا واختيارًا، نحو واترك البحر رهوًا، أو قهرًا واضطرارًا، نحو: كم تركوا من جنات، ومنه ترك الميت لما يخلفه بعد موته، أي: متروك بعده وهي عرفًا ماله الصافي عن تعلق حق الغير بعينه.[٥]

(١) انظر، الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ص٣٠٩.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٢٤٥.
(٣) الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن الكريم عبد السلام حمدان اللوح زكريا إبراهيم الزميلي، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الشرعية، المجلد١٢، العدد٢، ص٢٦.
(٤) انظر، لسان العرب، ابن منظور، ج٦، ص٤٠٥-٤٠٦. انظر، الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص٤٥٨.
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص١٧٣.

- أنواع الإعراض الديني.

و يقدم لنا القرآن الكريم عدة أنواع للإعراض، والتي منها:

١- الإعراض عن الله سبحانه وتعالى وعن ذكره: - إنّ الإنسان المعرض عن ذكر الله تبارك وتعالى ، هو الذي لا يعمل بما أنزل الله عز وجل من تعاليم إلهية، والإعراض عن ذكر الله سبحانه وتعالى يجلب لصاحبه عواقب وخيمة ، ونتائج سيئة ناتجة عن الابتعاد عن دين الله وتعاليمه، فمن آثار هذا الإعراض أنّ الإنسان المعرض يكون من أعظم الناس ظلمًا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ (سورة الكهف، الآية : ٥٧).

ومن آثاره أيضًا جعل الحجب والأقفال على القلوب حتى لا تفقه الحق وعدم الاهتداء إلى طرق الحق أبدًا، كما قال سبحانه وتعالى مبينًا بعض ما ينشأ عنه من الآثار السيئة:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (سورة الكهف ، الآية :٥٧) .

ومنها انتقام الله عزّ وجلّ من الإنسان المُعرِض عن ذكر الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (سورةالسجدة ، الآية : ٢٢) ؛ لأنّ هؤلاء أجرموا في حق أنفسهم وفي واقع الحياة، وفي حق الله سبحانه وتعالى، مما يجعلهم مستحقين للعذاب الذي لا ينطلق من موقع التشفي من قبل الله جل وعلا، بل من موقع المقابلة للنتائج ، والآثار السلبية التي أدت إليها الجريمة على أكثر من صعيد.[١]

وكذلك من الآثار السيئة التي تلحق الإنسان المعرض عن ذكر الله سبحانه وتعالى، المعيشة الضنك والعمى، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (سورة طه ، الآية :١٢٤) ، في هذه الآية نرى نتائج الإعراض في الدنيا أيضًا، فالإنسان المعرض عن هداية الله تبارك وتعالى نرى اختلال حاله في الدنيا

(١) انظر، من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله، ١٨/ ٢٣٨ .

والآخرة، فهو متهالك على الازدياد من الطاعات خائف على الانتقاص منها ،غير ملتفت إلى الكمالات ولا مأنوس بما يسعى إليه من الفضائل، يجعله الله سبحانه وتعالى في تلك الحالة وهو لا يشعر، وبعض هؤلاء المعرضين يبدو للناس في حالة حسنة ورفاهية عيش ولكن نفسه غير مطمئنة، وجعل الله سبحانه وتعالى عقابه يوم الحشر أنْ يكون أعمى تمثيلًا لحالته الحسية يومئذ بحالته المعنوية في الدنيا، وهي حالة عدم النظر في وسائل الهداية والنجاة، وذلك العمى عنوان لغضب الله عز وجل عليه وإقصائه عن رحمته.

ومنها تقيض القرناء من الشياطين، كما قال تعالى:﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (سورة الزخرف ، الآية :٣٦) ، إلى غير ذلك من الآثار السيئة والوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكير بآيات الله سبحانه تعالى.

إذن الإعراض عن الله تبارك وتعالى سبب للجهل بالله سبحانه وتعالى، فإنّ من أعرض عن التفكر في آيات الله جل وعلا مع إعراضه عن التدبر فيها، ولم يسع في معرفة ربّه عزّ وجلّ حرم معرفة الله سبحانه وتعالى، فكان سبب جهله بالله جل وعلا إعراضه عن آياته سبحانه، فقال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية :٢٤) ، فأكثر أهل الباطل جهلوا الحق فأعرضوا عنه، وقليل من أهل الباطل عرفوا الحق فجحدوه، ولذا فإن المعرضين عن الله تبارك وتعالى في تأريخ البشر أكثر من الجاحدين به، ولذا نجد في القرآن الكريم إنذار من الله سبحانه وتعالى لهم بالعذاب في الدنيا، وبالحساب والعقاب في الآخرة، ولكنهم يعرضون عن ذلك الإنذار، والأمم التي عُذِبت قبلنا كان سبب عذابها إعراضها عن إنذار الله تبارك وتعالى لها بواسطة رسله ﷺ، فقال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُوْنَ﴾ (سورة الأحقاف:٣)، والله سبحانه وتعالى قد أنذر الناس عقوبته في الدنيا إنْ هم تمادوا في عصيانه، كما أنذرهم حسابه وعقابه في الآخرة على معاصيهم، ويتمادى الناس في الغفلة حتى تقترب القيامة منهم وهم عن التفكر والتدبر فيها معرضون، كما يدنو منهم الموت وهم عن ذكره أيضًا غافلون، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية :١).

٢- الإعراض عن القرآن الكريم:- إنّ أكثر المعرضين هم الذين أعرضوا عن الله تبارك وتعالى بعد قيام الحجة عليهم وارتفاع الجهل عنهم، فهم يكذبون بآيات الله سبحانه وتعالى ، ويعرضون عن دينه ، وعن آياته التي فيها الدلائل الواضحة ، والبراهين القاطعة والسبل القويمة لهداية الناس، قال تعالى : ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (سورة الأنعام ، الآيتان :٤-٥).

وينشأ هذا الإعراض عن اعتقاد عدم جدوى التفكر والتدبر، فهو دليل على أنّ الإنسان المعرض مكذب للمخبر عن سماعه، وأصل الإعراض هذا هو صرف الوجه عن النظر في الشيء وهو هنا مجاز في إباء المعرفة، فيشمل المعنى الحقيقي بالنسبة إلى ترك الاستماع للقرآن، ويشمل المكابرة عن الاعتراف بإعجازه ، وكونه حقًا بالنسبة للذين يستمعون القرآن ويكابرونه، هذا الإعراض ثبت أنّهم كذبوا بالحق لما جاءهم من عند الله، فإنّ الإعراض علامة على التكذيب في آيات الله سبحانه وتعالى.[١]

ومن إخبار الله سبحانه وتعالى عنهم في إعراضهم عن الآيات القرآنية ، قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (سورة المؤمنون ، الآية :٧١) نرى أنّه يتكرر منهم الإعراض مع كلِ آية قرآنية يوعظون بها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (سورة الشعراء ، الآية :٥).

وهذا (بيان لاستمرارهم على تكذيب آيات الله ، وتمكن الإعراض عن ذكر الله في نفوسهم ، بحيث كلما تجدد عليهم ذكر من الرحمن ودعوا إليه دفعه بالإعراض ؛ فالغرض بيان استمرارهم الإعراض عن كل ذكر أتاهم، لا أنّهم يعرضون عن محدث الذكر ويقبلون إلى قديمه ، وفي ذكر صفة الرحمن إشارة إلى أنّ الذكر الذي يأتيهم إنّما ينشأ عن صفة الرحمة العامة التي بها صلاح دنياهم وأخراهم)[٢] ، فلا عذر لهم عند الله سبحانه وتعالى بعد قيام الحجة عليهم؛ لأنّ الخلل والنقص فيهم وفي أسماعهم وأبصارهم وعقولهم، حين لم تبصر

(١) انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٦، ص١٨ ١٩ .
(٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١٥، ص٢٥١ .

أعينهم آيات الله تعالى ولم تستمع آذانهم لها، ولم تذعن قلوبهم له بالعبودية، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة الأنفال ، الآيتان :٢٢-٢٣).

٣- الإعراض عن نعم الله تبارك وتعالى:ـ نجد أنّ الله تبارك وتعالى قد وصف الإنسان المعرض في القرآن الكريم في نصوص كثيرة منها : بأنّه ظلوم كفار، وبأنّه كفور مبين، وبأنّه كنود، أي كفور جحود للنعمة، ولا يسلم من انطباق هذا الوصف على الناس كلهم إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ونسبة الذين آمنوا هي النسبة الأقل بين الناس ؛ فالمقصود من وصف الله تبارك وتعالى بأنّ الإنسان كفور، أنّه جحود لنعمة الله جل وعلا عليه، مع أنّ نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان أكثر من أنْ يستطيع إحصائها وعدّها، ويلزم من كفر النعمة إنكار المنعم، وإنكار ما جاء من عنده، والتمرد عن طاعته، وهذا هو الإعراض عن الدين، وهو أثر من آثار كفر نعم الله سبحانه وتعالى، ولو أنّ الإنسان لم يعرض عن نعم الله تبارك وتعالى عليه لما كفر به، ولما كفر بحقه عليه، ولقام بواجب الشكر له، فآمن به وعبده حق عبادته، وأطاع أوامره ونواهيه، وأمّا كون الإنسان ظلومًا كفارًا لنعم الله سبحانه وتعالى عليه، قال تعالى :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ... وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(سورة إبراهيم ، الآيات : ٢٨- ٣٤) ، في هاتين الآيتين يدور الموضوع حول بيان مجموعة من نعم الله تعالى الكبرى على الناس، و بيان كون الإنسان كفورًا لهذه النعم، وبأنّه ظلومًا لنفسه، فالذين كفروا من الناس قد بدلوا نعمة الله كفرًا، أي قابلوا نعمة الله بالكفر والجحود، ثم عدد الله سبحانه وتعالى أنواعًا من النعم الكبرى التي أنعم الله تعالى بها على عباده، فذكر إنزال المطر وإخرااالثمرات، وذكر تسخير الفلك في البحر وتسخير الأنهار، وذكر نعمة استجابته من دعاه من عباده، ثم عمم فقال:﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.

ووصف الله سبحانه وتعالى الإنسان بأنّه كفور، فقال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾(سورةالحج، الآيتان :٦٥- ٦٦).

فالملاحظ إنّ الله تبارك وتعالى قد عدد من نعمه التي سخرّها للناس في الأرض، وهذا يشمل كلّ ما يمكن أنْ ينفع الإنسان منها، وأنّه سخر الفلك تجري في البحر بأمره، وهذه نعمة يعرفها الذين يركبون البحر، أو ينتفعون من جري الفلك فيه، وأنّه سبحانه يمسك السماء أنْ تقع على الأرض، فلا تصطدم نجوم السماء وكواكبها بالأرض، إذ يسير كل فلك في مداره بتقدير العزيز الحكيم، وكل هذه النعم من رأفة الله تبارك وتعالى بالناس ورحمته لهم، ثم أشار سبحانه وتعالى إلى الحكمة من الخلق، وهي ابتلاء الناس في ظروف من هذه الحياة الدنيا، والمطلوب من هذا الابتلاء أنْ يشكر الإنسان نعم الله المتوافرة عليه، وذلك بعبادته وطاعته والالتزام بأوامره ونواهيه، إلّا أنّ الإنسان كفور، يحب نعمة الله ويسعى للحصول عليها، ولكنه لا يشكرها بل يكفرها، ولذلك ختم الله تعالى النص بقوله :﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴾.

والمثال من القرآن الكريم على ذلك ما حدث مع قوم سبأ الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾(سورة سبأ ، الآيتان : ١٥ ،١٦) .

فقد جعل الله تعالى من مسكن سبأ باليمن آية على قدرة الله تعالى ومع ذلك أعرضوا، أعرضوا عن الرزق الوفير وأرادوا أنْ يعتمدوا على أنفسهم وظنوا أنّهم قادرون على رزق أنفسهم ، وكذلك لم يشكروا الله، توهموا بأنّ العمران والمدنية والأمن أشياء عادية، فنسوا الله تعالى وأسكرتهم النعمة وتفاخر الأغنياءُ على الفقراء، وظنوا أنّهم يزاحموهم في أرزاقهم،

ولذلك أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم، أي أنّه عقاب من جنس العمل، فدمر بيوتهم ومزارعهم وحولها إلى خرائب، وهكذا تكون عاقبة الإعراض والكفر بنعم الله تعالى، فقد سلط الله تعالى عليهم حيوانًا من أضعف الحيوانات وأحقرها وهو الجرذان الصحراوية وهي التي سببت انهيار السد بنفوذها فيه، فنُقِب السدّ فأغرق أموالهم ودفن بيوتهم، وأبدل محل تلك الأشجار الخضراء، أشجار صحراوية غليظة ليست ذات قيمة.[1]

وتوافر النعم على الإنسان سبب للإعراض عن الالتزام بالشريعة وتتبع أحكامها ؛ لأنّ الأوامر والنواهي مع توافر النعم تكون ثقيلة على الإنسان، فالالتزام يحد كثيرًا من شهواتهم، ويضبط تمتعهم بما أنعم الله تعالى عليهم ؛ ولأنّ كثيرًا من الناس يلجأون إلى الله سبحانه وتعالى في الشدائد والمصائب، لكنهم ينسونه عندما يصيبهم الرخاء والرفاهية، وفي هذا النوع من الإعراض يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء:٨٣)، وفي آية أخرى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (سورة فصلت ، الآية :٥١) .

٤- الإعراض عن الالتزام بأحكام الشريعة المقدسة:- هناك نوع آخر من المعرضين فمنهم من يظهر القبول لدين الله سبحانه وتعالى بلسانه لكنه يعترض عليه بقلبه، ويظهر ذلك في تصرفاته ولحن قوله، وهذا حال المنافقين قديمًا وحديثًا، وكلما كثر اعتراض الإنسان على أحكام الشريعة وردّها وتأويلها كان ذلك دليلًا على مرض قلبه بالنفاق، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المنافقين في عصر الرسالة ، وميزهم بكثرة اعتراضاتهم على أحكامه سبحانه وتعالى ، وأحكام رسوله ﷺ، ومن قرأ سورة التوبة عرف ذلك جليًا.

ومن الناس من يذعن بقلبه ولسانه للشريعة، لكنه يعترض على بعضها إمّا جهلًا بالشريعة، أو لهوى في نفسه ، أو تقليدًا لأهل الجهل والهوى، وهذا على خطر عظيم أنْ يصاب بفتنة ، أو عذاب عاجل، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة النور، الآية :٦٣) .

(١) انظر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ١٣/ ٤٢٣، ٤٢٤.

ومنهم من يعرض بلسانه وقلبه عن معرفة الله تعالى وطاعته، والنظر في آياته الكونية والأنفسية ، أو التدبر في آياته وأحكامه، وهو حال أغلب الكافرين والملحدين من المذاهب والملل،على اختلافها ، وقليل منهم من يعلم آيات الله تعالى فيعرض مع علمه بها، وهذا هو الجحود الذي وقع فيه فرعون فأخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (سورة النمل ، الآية :١٤) .

ومن الناس من يعرض عن آيات الموعظة والتذكير، ويشمئز منها، ولا يحب الاستماع إليها والتدبر فيها، وهو في قلوبهم نوع من الاعتراض على ذكر الله تعالى، وفيهم شبه بالمشركين والمنافقين، ويُخشى عليهم من سوء العاقبة، وقد وصف الله سبحانه وتعالى المشركين بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآَخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (سورة الزمر ، الآية :٤٥) .

وكذلك نجد بعض الناس يتظاهرون بالتدين والالتزام ، ويدّعون معرفة كل شيء، ويقول قائلهم: أنا أعرف الله، أنا أعرف الدين، أنا أعرف الأحكام فقط، أنا مقتنع بعقلي، وربما لا يمارس شيئًا ، والمُعرِض عن دين الله جل وعلا لا يقوم بعمل عبادي أبدًا، هذا صاحب كفر بعدم الالتزام بأحكام الشريعة المقدسة؛ لأنّ قضية الاطلاع على الإسلام ومعرفته يقوم بها الكثير من غير المسلمين من الكفار والمستشرقين، يعرفون الإسلام ويطلعون عليه ويقرأون عنه، وربما عرف بعضهم عن الدين أكثر مما يعرف بعض المسلمين، وربما يتأثرون ببعض أحكامه، وبعض الذين يزعمون التدين يكون له نصيب من الدين في شيء من عمل القلب، ولكن لا يظهر بعد ذلك في سلوكهم ولا في حياتهم اليومية، لكن الدين الإسلامي يختلف عن باقي الأديان الأخرى، الدين الإسلامي لا يريد اعتقاد ومعرفة وتأثر فقط، بل يريد الممارسة في العمل والتفاني فيه، وهذه حقيقة أثبتها القرآن الكريم، ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (سورة البقرة ، الآية : ٢٥) .

- أقسام الإعراض الديني .

يُقسم الإعراض الديني حسب معطيات القرآن الكريم إلى قسمين:

١- الإعراض الكلي:ـ وهو الإعراض التام عن دين الله سبحانه وتعالى لا يتعلمه ولا يعمل به، وهو التولي عن طاعة الله والرسول ﷺ والامتناع عن الاتباع والصدود عن قبول حكم الشريعة.

٢- الإعراض الجزئي:ـ وهو أنْ يكون معه أصل الإيمان، لكنّه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية .[١]

فتقسيم الإعراض إلى إعراض كلي وجزئي، ناشئ من جملة مسائل منها:

١- إن الله تعالى نفى الإيمان عمن أعرض وتولى عن دين الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَ يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة النور، الآيتان:٤٧، ٤٨).

هناك بعض من الناس يخضع انتمائه والتزامه إلى الدين حسب ما تقتضيه مصالحهم الشخصية، فإذا التقى الدين بمصالحهم تلك أيدوه ، و إذا ابتعد عن مصالحهم رفضوه و تمردوا عليه، وهكذا تكون مسألة الالتزام بالشريعة المقدسة لديهم خاضعة للمصلحة الذاتية، لا للقناعة الفكرية الدينية، مما يجعلهم يتلونون تبعًا للمطالب التي تطرأ على مصالحهم وقناعاتهم، دون أصالة في القناعة والانتماء للدين، و يضع الله سبحانه وتعالى موقف هؤلاء في مواقع النفاق الذاتي التي تكون فيها المصلحة الشخصية هي المرتكز والأساس، بحيث تراه في حالة من الاهتزاز في العلاقات والأقوال والأفعال، فيكون الإنسان ذا موقفين داخلي وخارجي، وذا وجهين مشرق ومظلم، وذا كلامين كافر ومؤمن، فيخسر الطمأنينة في الدنيا ، والمصير في الآخرة، لكن حركة الواقع الاختبارية التي تواجه الإنسان بالمشاكل والتحديات في مواقع الالتزام، تجعل بعضهم يثبت أمام التجربة الصعبة

(١)انظر، نواقض الإيمان القولية والعملية، الدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، ص٣٤٦٣٤٥.

ويستمر في خط الإيمان، ويسقط بعضهم في الامتحان والاختبار، فلا يطيقون الآلام التي تفرضها أحيانًا المواقف الصلبة، ولا يتحملون الخسائر المعنوية والمادية التي قد تحصل في ساحة الصراع بين الحق والباطل، ومن ذلك نستطيع أنْ نفهم أنّ الإيمان ليس قولًا، وليس موقفًا ظاهريًا، بل هو عمق فكري وروحي وعملي يتجسد في موقف وحركة والتزام، لهذا نفت الآية صفة الإيمان عن هؤلاء.(١)

٢- إنّ الإعراض يضاد وينافي الإيمان الذي يتضمن طاعةً وانقيادًا وتسليمًا ، وقبولًا واستجابةً وخضوعًا لدين الله تعالى والالتزام بأوامره ونهيه، فالإعراض تول وصدود، وترك وامتناع، وهو إعراض عن الهدى وعدم إرادته والعمل به وبموجبه.

فهؤلاء الذين يعلمون الحقّ الذي بعث الله سبحانه وتعالى به رسوله الكريمﷺ ولا يؤمنون به، ويقرون به ، يوصفون بأنّهم ليسوا بمؤمنين، وبأنّهم جاحدون لأنعم الله سبحانه وتعالى ويوصفون بأنهم مكذبون بألسنتهم، وأنهم يقولون بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنّهم ليسوا مكذبين بما علموه ، أي مكذبين بقلوبهم وإنْ لم يكونوا مؤمنين مقرين مصدقين.

٣- ذكر الله سبحانه وتعالى أنّ الإعراض والتولي عن طاعة الله كفر، قال تعالى:﴿ قُلْ أَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة آل عمران ، الآية : ٣٢) .

فيه دلالة على كفر المتولي ، والنهي عن تولي الكفار حيث ختمت بنفي الحب عن الكافرين بأمر الإطاعة، وأنّ تولي الكافرين كفر والمراد به الكفر في الفروع دون الأصول، ككفر مانع الزكاة وتارك الصلاة ، ويمكن أنْ يكون كفر المتولي بعناية ما ينجر إليه أمر التولي.(٢)

٤- توعد الله سبحانه وتعالى من أعرض وتولى ، بالعذاب المطلق في النار؛ مما يدل على أنّ الإعراض عن دين الله والتولي عن طاعته كفر، قال تعالى:﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا

(١) انظر، من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله، ١٦/ ٣٤٢، ٣٤٣ .
(٢) انظر، الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ٣/ ١٦٢، ١٦٣ .

يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾(سورة الليل ، الآيات :١٤- ١٦) .

فالمنذر بالأصالة هو الله سبحانه وتعالى وإنْ كان بلسان رسوله ﷺ، وتلظى النار: تلهبها وتوهجها، والمراد بالنار التي تتلظى جهنم، والمراد بالأشقى مطلق الكافر الذي يكفر بالتكذيب والتولي ، فإنّه أشقى من سائر من شقي في دنياه فمن ابتلي في بدنه شقي ومن أصيب في ماله ، أو ولده مثلا شقي ومن خسر في أمر آخرته شقي ، والشقي في أمر آخرته أشقى من غيره لكون شقوته أبدية لا مطمع في التخلص منها ، بخلاف الشقوة في شأن من شؤون الدنيا فإنّها مقطوعة لا محالة مرجوة الزوال عاجلًا، فالمراد بالأشقى هو الكافر المكذب بالدعوة الحقة المعرض عنها، والمراد بصلي النار اتباعها ولزومها ، فيفيد معنى الخلود وهو مما قضى الله به في حق الكافر.[1]

٥- ذكر القرآن الكريم أنّ الإعراض عن دين الله سبحانه وتعالى من صفات المنافقين، وأنّ التولي عن طاعته من النفاق، قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾(سورة النساء ، الآية : ٦١) .

إنّما خص الرسول بالإعراض مع أنّ الذي دعوا إليه هو الكتاب و الرسول معًا ، لا الرسول وحده ، إنّما هو من فعل الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل الله ، فهم ليسوا بكافرين حتى يتجاهروا بالإعراض عن كتاب الله بل منافقون بالحقيقة يتظاهرون بالإيمان بما أنزل الله لكنهم يعرضون عن رسوله، ومن هنا يظهر أنّ الفرق بين الله ورسوله بتسليم حكم الله والتوقف في حكم الرسول نفاق البتة .[2]

(١) انظر، الميزان في تفسير القرآن ، ٢٠/ ٣٠٥، ٣٠٦ .
(٢) المصدر السابق، ٤/ ٤٠٣ .

- أسباب الإعراض عن الالتزام الديني.

١- حب الدنيا:- من أسباب هذا الإعراض هو أنّ حب الدنيا إذا سيطر على الإنسان فإنه يرديه إلى الهاوية ويسلك به إلى طريق الغواية، كما ذكر الله سبحانه وتعالى خبر المنسلخ عن آياته: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف ، الآية:١٧٥-١٧٦) .

٢- الهروب من الالتزام بأحكام الشريعة:- ويكون الإعراض في بعض الأحيان عن أجزاء من الشريعة لا توافق هوى جماعة أو أفراد، فيعرضون عن حكم لا يريدونه، ويردون ما فيه من الأدلة إمّا ردًا مباشرًا، وإمّا بتأويلها وتحريف معانيها ، وهذا سبب للخذلان والانتكاس والردى، وقد يؤدي بصاحبه إلى الانسلاخ من أحكام الشريعة فلا يقبل منها إلّا ما وافق هواه، ويعرض عما لا يوافق هواه، كما حصل لعبد أعرض عن فريضة الزكاة ؛ لأنّها لم توافق خلق البخل والشح عنده، فكان ذلك سبب نفاقه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (سورة التوبة ، الآيات :٧٥-٧٧) .

٣- الانشغال الزائد بالأمور المادية في الدنيا:- إنّ اهتمام الإنسان الزائد بالحياة الدنيا، وما فيها من ملهيات تشغل الإنسان عن الهدف الأساسي من وجوده، وهو طاعة الله جل وعلا، فينسى ذلك ويسعى سعيًا للدنيا وما فيها، فينسى الدار الآخرة، قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(سورة آل عمران ، الآيتان : ١٤- ١٥) .

٤- التفكير السلبي في بعض سلوكيات الدين:- تفكير الإنسان المسلم بأنّ الدين الإسلامي يقتصر على سلوكيات معينة، وهذا بالطبع أمر خاطئ لا صحة له ؛ لأنّ الدين الإسلامي يشتمل على جميع نواحي الحياة ، فهو دين كامل لا نقص فيه، ويشمل العبادات والمعاملات والأخلاق، وما يتعدد من مناحي الحياة ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(سورة البقرة ، الآية : ٢٧٧) ، فالقيام ببعض ما جاء به الدين والاقتصارعليه، والإعراض عما تبقى، يؤدي إلى الإعراض عن ذكر الله تبارك وتعالى وعن طاعته، فعلى سبيل المثال هناك من يصلي ويصوم، ولكنه بعيد كل البعد عن أداء الزكاة ، أو الجهاد في سبيل الله تعالى ، أو التحلي بالأخلاق الإسلامية، فتجده يشتم ويغتاب ويتنابز بالألقاب.

٥- عدم شكر المنعم:. فإنّ عدم شكر الله سبحانه وتعالى على النعم التي أنعمها على الإنسان، فلا يستشعر أهمية هذه النعم، ولا يدرك قيمتها، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (سورة إبراهيم ، الآية :٧).

٦- سلوك بعض المتدينين الخاطئ:- إنّ بعض ما تعاني منه البشرية هو بسبب سلوكيات جملة من المتدينين وممارساتهم الخاطئة، جراء الفهم الخاطئ لأحكام الدين ، إذ أصاب الناس بسببهم النفور والإعراض عن الدين والجهل بأحكامه، وقد كانت هذه السلوكيات كافية للإعراض والنفور من الدين وكل ما يمت إليه بصلة، إذ أصيب الناس الذين كانوا ضحايا لهذا الظلم، والذين شاهدوا مظلوميتهم بنفور شديد، فصاروا يرون أنّ خلاصهم وخلاص البشرية ، إنّما يتحقق عبر التخلي والإعراض عن الدين وأحكامه، وهذا مما أدى إلى أنْ ينشأ عندهم الإعراض عن الالتزام الديني، واجمالًا فإنّ ممارسة الناس للفساد والإفساد لا يحتاج إلى محفز دائم من خارالنفس ، أو المؤثرات الخارجية، بل إنّه أمر يجد مبرره في داخل النفس الإنسانية ؛ وذلك نتيجة ردة فعل من قبلهم اتجاه ذلك السلوك الخاطئ، فما لم يكتسب الناس التعقل والرجوع إلى أصحاب الفكر والسلوك السليم، فإنّ ردة الفعل العكسي هذه في الاعتقاد والعمل ، ستقود حتمًا إلى الافراط أو التفريط في

تصديقهم وتكذيبهم لهذه السلوكيات والأفكار الخاطئة، فمنشأ الإعراض وعدم الالتزام بالدين قد يرجع إلى الكيفيات التي تكون النفس البشرية متصفة بها نتيجة لعوامل تكونهم، أوعوامل نشوئهم وبيئة نموهم ، لكن هذا الأمر مطرد مهما كان نوع الأفكار والتقاليد والموروثات التي يحملها الإنسان، وإنّ تلبيس فساد الناس لباس الدين ، أو العلم أو العقل أو أي شيء آخر، ليس إلّا تدليسًا وإخفاء للمنشأ الحقيقي وراء الإعراض وعدم الالتزام.

- نتائج الإعراض وصفات المعرضين.

إنّ المتأمل لأحوال المُعرضين عن الله تبارك وتعالى ، وعن الالتزام بشريعته المقدسة يجد أثر إعراضهم واضحًا في القرآن الكريم، فمن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله وشرعه:

١- الوقوع في البلاء والمصائب، فمن أعرض عن الالتزام بأحكام الشريعة المقدسة، يجد نفسه واقعًا في كثير من المصائب والبلايا، قال تعالى:﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (سورة المائدة ، الآية : ٤٩) .

وهذا بيان لأمر إضلالهم إثر فسقهم وإعراضهم، فهم بسبب توليهم عن الدعوة الحقة واستنكافهم عن قبول ما يرشدهم إلى سبيل الرشاد والفلاح، وأنّهم ليسوا بمعجزين لله سبحانه وتعالى في ملكه ولا غالبين عليه بل الله غالب على أمره، وهو الذي يضلهم بسبب فسقهم، ويزيغ قلوبهم عن زيغ منهم ، ويجعل الرجس عليهم بسلب توفيقه عنهم واستدراجه إياهم، فإن للذنوب عقوبات عاجلة وآجلة، ومن أعظم العقوبات أنْ يبتلى الإنسان ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه [١] .

٢- فساد النفس وفساد المجتمع، فإن فسدت النفس فقد فسد المجتمع، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة آل عمران ، الآية :٦٣) ، فإنّ الإعراض عن الحجوالبراهين الواضحة عن توحيد الله سبحانه وتعالى وعن عبادته وطاعته، ما هو إلّا إفساد للدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد النفس، بل وإلى فساد المجتمع، وما هو إلّا تهديد واضح للذي لم يستسلم ولم يذعن للحق بعد الاستدلالات والبراهين القرآنية، بل استمروا

(١) انظر، الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي،ج٥، ص٣٥٤ ٣٥٥ .

في عنادهم وتعصبهم، وهذا دليل على أنّهم ليسوا مريدين للحق والحقيقة، بل هم مقيدون بأغلال تعصبهم وأهوائهم وتقاليدهم وعاداتهم الجاهلية، وبذلك يكونون من المفسدين في المجتمع ؛ لأنّ هدفهم ليس فقط فساد أنفسهم وحسب، بل هدفهم أيضًا إفساد المجتمع وإفساد العقائد السليمة لأفراد المجتمع، ومن المعلوم أنّ الله سبحانه وتعالى يعرف هؤلاء جيدًا، ويعلم بنياتهم وسيجازيهم في الوقت المناسب.

٣- حصول الضنك في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (سورة طه ، الآيات :١٢٤- ١٢٦) .

إنّ العامل الأساسي المسبب لضنك العيش والحشر على هيئة الأعمى يوم القيامة، هو الإعراض عن ذكر الله سبحانه وتعالى ؛ لأنّ ذكر الله تبارك وتعالى يبعث على اطمئنان الروح والتقوى والسكينة، ونسيان الله عز وجل يبعث الاضطراب والخوف والقلق، فعندما ينسى الإنسان مسؤولياته بعد أنْ ينسى ذكر الله عز وجل، فإنّه سيغرق في مستنقع الشهوات والحرص والطمع، ستصيبه المعيشة الضنك، فلا قناعة تملأ عينه، ولا اهتمام بالأمور المعنوية تغني روحه، ولا الأخلاق تمنعه أمام طغيان الشهوات، ولذا فإنّ ضيق الحياة ينشأ في الغالب من النقائص المعنوية وانعدام الغنى الروحي، فلا طمأنينة له في الدنيا ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرلضلاله وإنْ تنعم ظاهره، فإنّ قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد.

٤- كون المعرض عن دين الله تعالى وآياته أعظم الناس ظلمًا ، قال تعالى:﴿ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَ نَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ ﴿٥٧﴾ إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ﴿٥٨﴾ وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا. وَ تِلْكَ الْقُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً ﴾ (سورة الكهف ، الآيات :٥٧ - ٥٩) .

وهنا أخبر الله سبحانه وتعالى أنّه لا يوجد أعظم ظلمًا ولا أكبر جرمًا، من إنسان ذُكّر بآيات الله سبحانه وتعالى ، وبُين له الحق من الباطل والهدى من الضلال، وخُوّف ورُغّب فأعرض عنها، فلم يتذكر بما ذُكّر به، ولم يرجع عما كان عليه، فنسي واستهان بما اقترفه من الذنوب، فهذا أعظم ظلمًا من المُعرض الذي لم تأته آيات الله سبحانه وتعالى ، ولم يُذكّر بها وإنْ كان ظالمًا، فإنّه أخفّ ظلمًا من الذي استهان واستخف وهو على بصيرة وعلم ؛ ولذا فإن الله سبحانه وتعالى عاقبه بسبب إعراضه عن آياته ونسيانه لما اقترفه، ورضاه لنفسه حالة الشرّ والفساد مع علمه بأنّ الله سبحانه وتعالى قد سدّ عليه أبواب الهداية ، بأنْ جعل على قلبه أغطية محكمة تمنعه من أنْ يفقه الآيات وإنْ سمعها ، فليس في إمكانه التفكر والتدبر الذي يصل إلى القلب، وصَممًا يمنعهم من وصول الآيات، فليس لهدايتهم سبيل ؛ لأنّ هؤلاء الذين أبصروا ثم عموا ورأوا طريق الحق فتركوه وطريق الضلال فسلكوه، وعاقبهم الله سبحانه وتعالى بإقفال القلوب والطبع عليها فليس في هدايتهم حيلة ولا طريق، وفي هذه الآية من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أنْ يُحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن سعة مغفرته ورحمته، وأنّه يغفر الذنوب، فيتغمد الإنسان برحمته إذا تاب إلى الله سبحانه وتعالى ، ورجع إليه ويشمله بإحسانه ونعمه الوافرة، ولو أنّ الله سبحانه وتعالى أخذ الناس على ما قدمت أيديهم من الذنوب لعجل لهم العذاب، ولكنه تعالى حليم لا يعجل لهم بالعقوبة، لكن لابدّ من وقوع آثار الذنوب عليهم ، ولهم موعد يجازون فيه بأعمالهم، وهذه سنته في الأولين والآخرين أنْ لا يعاجلهم بالعقاب، بل يدعوهم إلى التوبة والإنابة، فإنْ تابوا وأنابوا غفر لهم ورحمهم، ورفع عنهم العقاب، وإنْ استمروا على ظلمهم وعنادهم، أنزل بهم بأسه وعذابه في وقت لا يتقدمون عنه ولا يتأخرون.[1]

٥- جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه، قال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾(سورة الكهف ،

(١) انظر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ٥٦٠ .

الآية :٥٧).

فهؤلاء المعرضين الذين يستخفون بآيات الله سبحانه وتعالى وإنذاره إليهم، فلا يُرجى منهم أنْ يفقهوا آياته وأحكامه ولا أنْ ينتفعوا بها ؛ لذلك جعل الله تبارك وتعالى على قلوبهم أغطية تحول دون فقههم، وجعل في آذانهم الصمم فلا يستمعون إلى ما هو صلاح لأنفسهم؛ وذلك بسبب استهزائهم وإعراضهم فلن يهتدوا إذن أبدًا.[١]

٦- انتقام الله جلّ وعلا من المعرض عن التذكرة بآيات الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ (سورة السجدة، الآية : ٢٢) .

فإنّه من ظلم نفسه بالكفر والمعصية وتمرد على الله سبحانه وتعالى، وكان من حقه أنْ يوحده ولا يشرك به ، وأنْ يطيعه ولا يعصيه، فقد أفقد نفسه الفرصة الكبيرة في الحصول السعادة الدنيوية والأخروية في مواقع الإيمان والطاعة، بل أوقع نفسه في غضب الله جلّ وعلا وعذابه في الآخرة، وظلم المجتمع أيضًا بالتنكر لما ينفع الحياة والناس في خط الحقيقة؛لأنّهم أجرموا في حق أنفسهم وفي واقع الحياة، وفي حق الله سبحانه وتعالى، مما يجعلهم مستحقين للانتقام الذي لا ينطلق من موقع التشفي من قبل الله جلّ وعلا وحاشاه جلّ وعلا من ذلك، بل بسبب النتائج السلبية التي اكتسبتها نفوسهم أدّت إلى وقوع العذاب عليهم.)[٢]

٧- كون المعرض عن التذكرة منذر من الله بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قال تعالى:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (سورة فصلت ، الآية : ١٣) .

ابتلى الله سبحانه وتعالى عاد وثمود بسبب كفرهم بالرسل واستهزاءهم بآيات الله جل وعلا بصاعقة دمرتهم عن بكرة أبيهم ، والذين يعرضون عن دين الله تعالى فإنّه تعالى

(١) انظر، في ظلال القرآن، السيد قطب، ٤/ ٢٢٧٥ .
(٢) انظر، من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله، ١٨/ ٢٣٨ .

أنذرهم بالعذاب الدنيوي الذي ابتليت به عاد وثمود بكفرهم بالرسل وجحدهم لآيات الله سبحانه وتعالى، وبالعذاب الأخروي الذي سيبتلى به هؤلاء المعرضين الذين حقت عليهم كلمة العذاب.[1]

- منهج القرآن الكريم في الوقاية من الإعراض وعلاجه.

ذكر القرآن الكريم جملة من العلاجات للوقاية من الإعراض عن الالتزام الديني منها:

١- تقوى الله سبحانه وتعالى:- بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ التقوى: هي فعل الطاعات وترك المعاصي، وترك ما يوجب سخط الله سبحانه وتعالى، فالتقوى هي طاعة الله سبحانه وتعالى وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فالأمر الإلهي يوجب بملازمة التقوى، وإتيان الأحكام الشرعية على وجهها المطلوب من دون تغيير وتبديل، والتقوى هي الصراط المستقيم إلى الإنسانية الكاملة والجنات العالية، وهي الارتباط الوثيق مع الله سبحانه وتعالى.

فالتقوى بصفتها معيارًا تختلف فاعليتها تمامًا عن سائر المعايير الأخرى، فما دام هدف الإنسان العبادي هو الوصول إلى الطاعة الحقيقة لله تعالى ، وممارسة الأدوار العبادية فيه، فتتجسد القيمة الفردية في مدى الالتزام بالأمور العبادية ، وهي مبادئ قائمة على علاقات التعاون في المستوى الاجتماعي وعلى الالتزام بالأوامر والنواهي في المستوى الفردي، وهذه القيمة تتجانس مع الهدف الرئيسي من خلق الإنسان، فما دام الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان من أجل الممارسة العبادية، حينئذ فإن الممارسة العبادية تكتسب القيمة الأساسية للإنسان، هذا من حيث التكيف النفسي لمفهوم التقوى.[2]

ولهذا نجد القرآن الكريم يزخر بكثير من الآيات الكريمة تحث على التقوى، فقال تعالى:﴿ وَ اتَّقُوا اللهَّ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾(سورة البقرة ، الآية : ١٩٦)، وقوله تعالى:﴿ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُّ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ﴾(سورة البقرة ، الآية: ١٩٧).

(١)انظر، الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ١٧/ ٣٧٥ .
(٢)انظر، الإسلام وعلم الاجتماع، الدكتور محمود البستاني، ١٥٠ .

ثم إنّ ظاهر الآية المباركة العموم بالنسبة إلى تمام الحالات ، والأزمنة والأمكنة وإنّما ذكر في المقام بالخصوص لاقتضاء الحالة بتزود التقوى ؛لأنّه السفر إلى الله تعالى، وما للتقوى من فضل عظيم خطير، وأنّ بالعقل يُخشى الله وتُتقى المعاصي، وهذا هو الذي يستشعره ذو العقل السليم، فإنّ التقوى مفتاح بركات السماء والأرض، قال تعالى:﴿وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ﴾ (سورة الأعراف ، الآية : ٩٦)، وهي أساس الفلاح، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية : ١٠٠)، وهي الوسيلة لجلب السعادة للإنسان، وهذه الآيات تحثّ على الترغيب إلى اكتساب الفضائل والتجنب عن الرذائل، والتمسك بطريق الله جلّ شأنه، واستكمال الإنسان بجميع ما أعدّ له من الكمال، فيترتب عليه جميع ما أعدّ له من الجزاء الموعود في القرآن، فالكتب السماوية ترتب المعلول على العلة التامة المنحصرة.(١)

فمن اتقى الله سبحانه وتعالى بفعل أوامره وترك زواجره ، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة، ويكفي المتقين أنّ لهم عند ارتباك الناس وتحيرهم، واشتداد ظلام الشبهات والشهوات حولهم نورًا يمشون به، يضيء لهم طريقهم، ويميز لهم الحق من الباطل.

٢- الاستعانة بالله سبحانه وتعالى:- إنّ طلب العون والمساعدة من الله سبحانه وتعالى شعار المؤمنين الموحدين، فهم يهتفون بكل صلاة داعين الله سبحانه وتعالى:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (سورة الفاتحة ، الآية : ٦) ، وقد أعطى القرآن الكريم نموذجًا رائعًا لمن استعان بالله تبارك وتعالى، وخير مثال ما ذكر القرآن الكريم من قصة النبي يوسف عليه السلام الذي استعان بالله جل وعلا في أحلك الظروف وتوكل عليه، وأشدّ الصعاب على الإنسان هي التي لم تحطها العناية الإلهية وترعاها، فقال تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (سورة يوسف ، الآية : ٣٣)، فقد خلصه الله سبحانه وتعالى من مصائد الشيطان وإغراءات امرأة عزيز مصر، وحبب

(١) انظر، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ٣/ ١٥٤-١٦٧ .

السجن الذي فيه رضا الله تبارك وتعالى والذي فيه النجاة، على نعيم زائل ورغد عيش مزيف والذي فيه سخط الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، فبالاستعانة بالله سبحانه وتعالى يوفق الإنسان للخير ويهتدي إليه ويستمر عليه، وتُعدّ الاستعانة بالله تعالى من أجلّ وأعظم العبادات، إذ أنّ فيها طلب العون منه سبحانه وتعالى والدعاء والتوجه والتوسل إليه في رفع البلاء ودفع الشدائد والمصائب، وهذا التوجه والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى من قبل الإنسان وبرحمته تعالى ولطفه ، سوف يرشد الإنسان ويهديه إلى الطريق الصحيح، ويخلصه من غمرات الفتن والمحن ، وفضل الدعاء وأهميته وأثره دل عليه الكتاب والسنة، ولاحظه المؤمنون في واقع حياتهم.

٣- الالتزام بالدين والإخلاص له:- ومما يجعل الإنسان محافظًا على الدين ملتزمًا بالشريعة إخلاصه لله تعالى، قال تعالى:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ (سورة الزمر ، الآية :٢)، وقال تعالى:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (سورة البينة ، الآية : ٥)، فبالإخلاص يوفق الله سبحانه وتعالى الإنسان إلى عمل الخير، ومن أعظم التوفيق الإلهي أنْ يبقى الإنسان ثابتًا على طاعة الله جل وعلا.

٤- العمل الصالح:ـ من المعلوم أنّ الحسنات التي يحصلها الإنسان جراء عمله الصالح، تمحو سيئاته وترشده إلى طريق الحق والصواب، قال تعالى:﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (سورة هود ، الآية : ١١٤)، وقال تعالى:﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (سورة التوبة ، الآية:١٢٤)، وأنّ السيئة تسوق إلى مثلها، قال تعالى :﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (سورة التوبة ، الآية : ١٢٥)، فيجد الإنسان توفيقًا إلهيًا وتأييدًا ربانيًا حين يعمل الصالحات ويبتعد عن المنكرات.

الخاتمة

توصلت عبر البحث إلى عدة نتائج من أهمها:

١- على وفق المعنى اللغوي والاصطلاحي للإعراض أمكننا أنْ نقول بأنّ الإعراض هو الصد عن الشيء ، أو تجاهله أو التولي عنه، وإدارة الظهر وعدم الالتفات والاهتمام به.

٢- وردت بعض الألفاظ التي تدل على معنى الإعراض في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وهذه الألفاظ هي(التولي، والصد، والترك).

٣- ظهرت أنواع للإعراض الديني، منها الإعراض عن الله سبحانه وتعالى وعن ذكره، والإعراض عن القرآن الكريم، والإعراض عن نعم الله تعالى، والإعراض عن الالتزام بأحكام الشريعة المقدسة.

٤- إنّ سبب تقسيم الإعراض الديني إلى الإعراض الكلي والجزئي، ناشئ من جملة من الأسباب وقد ذكرت في القرآن الكريم، وهي إنّ الله تعالى نفى الإيمان عمن أعرض وتولى عن دين الله عز وجل، وأنّ الإعراض يضاد وينافي الإيمان، وأنّ الإعراض عن دين الله سبحانه وتعالى هي من صفات المنافقين.

٥- كذلك تبين أنّ هناك أسبابا أساسية أدت إلى وجود الإعراض عن الالتزام الديني، منها حب الدنيا، التفكير السلبي لبعض سلوكيات الدين، وكذلك السلوك الخاطئ عند بعض المتدينين في فهم الدين وأحكامه.

٦- إنّ المتأمل لأحوال المُعرضين عن الله تبارك وتعالى ، وعن الالتزام بشريعته المقدسة يجد آثار إعراضهم واضحة في القرآن الكريم، فمن الآثار السيئة للإعراض عن دين الله وشرعه، الوقوع في المصائب، وحصول ضنك العيش والحشر يوم القيامة أعمى، ويقيض له الله سبحانه وتعالى قرناء من الشياطين.

٧- ذكر القرآن الكريم جملة من العلاجات للوقاية من الإعراض عن الالتزام الديني، منها تقوى الله سبحانه وتعالى، والاستعانة به، ومجاهدة هوى النفس، ومصاحب الصالحين، والعمل الصالح.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد أمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون، ط١(١٤٢٧هـ) بيروت .

٣. الإسلام وعلم الاجتماع، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، ط١ (١٤١٤هـ ١٩٩٤) بيروت .

٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ط١ (١٤٢١هـ) قم المقدسة .

٥. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، ط١ (١٤٢٠هـ) بيروت .

٦. التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي،ط٣ (١٤٢٠هـ) بيروت .

٧. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، ط١ (١٤١٠ ١٩٩٠) القاهرة.

٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، مكتبة النهضة العربية، ط٢ (١٤٠٨هـ) بيروت .

٩. الصد عن سبيل الله في ضوء القرآن الكريم، عبد السلام حمدان اللوح زكريا إبراهيم الزميلي، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الشرعية، المجلد١٢، العدد٢، لسنة ٢٠٠٤ .

١٠. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١(١٤٢٤ ٢٠٠٣) لبنان .

١١. الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بلا، بيروت .

١٢. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، دار صادر، ط٣ (١٤١٤هـ) بيروت .

٣١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ط٢، القاهرة.

١٤. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، الدار الشامية، ط١(١٤١٢هـ) بيروت.

١٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) لبنان.

١٦. من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط١ (١٤١٩هـ) بيروت .

١٧. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، مكتب سماحة آية الله العظمى السبزواري، ط٢ (١٤٠٩هـ) .

٨١. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢ (١٣٩٠هـ) بيروت.

١٩. نواقض الإيمان القولية والعملية، عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، مدار الوطن للنشر، ط٣ (١٤٢٧هـ) الرياض .

إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا